أزمة الانتماء والتّشظّي الهويّاتي فيما بعد الكولونياليّة "لص في مملكة الأحرار" لبوشاقور إزدهار أنموذجًا.

The crisis of belonging and identity fragmentation in the post-colonial period "Lissun fi Mamlakati al Ahrar" of Bouchakour Izdihar as a model

أ. عبد القادر حمادي♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-027-002-005

تاريخ الاستلام: 13-12-2024- تاريخ القبـول: 19-01-2025- تاريخ النّشر: 15-06-2025

ملخّص: استطاع الرّوائيون والكتاب في فترة ما بعد الكولونياليّة، أن ينسجموا مع معطيات الواقع، الذي شهد فترة من البناء والتشييد، وعاش أصحاب الأقلام نشوة التحرر ومتعة المستجدات في سبعينيات القرن الماضي فظهرت أعمال أدبيّة واكبت فترة الخلاص من الجلاد، وأمان التحالفات والانتماءات، وتحرّرت معها الأقلام، لكن لم تلبث هذه الفترة أن زالت، وارتمى الرّواة والكتاب من جديد في أحضان دوامة حرب وعنف، دامت ما يقارب العقد من الزّمن، قضت على الأخضر واليابس، وكبلت الكثير من الأقلام، وشكّلت هاجسا للكثير من الأدباء، وبها تغيرت ذهنيات المجتمع، وشكك الكثير في مبدأ الانتماء والهويّة وظهرت ملامح الانسلاخ الهوياتي بما أملته أيادي الغدر والصّراعات الأيديولوجيّة والتأثيرات الإقليميّة، وهذا ما ساعد في ظهور أدب

♥جامعة البليدة 2 لونيسي علي-الجزائر البريد الإلكتروني: ea.hammadi@univ-blida2.dz (المؤلّف المرسل).

عُرف فيما بعد بأدب العشريّة، تميّزت الرّوايات في مجملها في تلك الحقبة بالقيود المفروضة تارة، والانحياز لأحد طرفي النّزاع دون الآخر تارات أخرى فرأى البعض أنّ من أهم ما يُمليه الواجب الوطني وتدعو إليه الوحدة الوطنيّة ومن ورائها مظاهر تجسيد الهويّة، كأداة توقظ الهمم والعزائم في نفوس أبناء الوطن، أنّ يكتب هؤلاء الأدباء حول تلك الأحداث والمآسي والتي أودت بحياة الكثير من أبناء الوطن، وأن يتطرقوا إلى بعض التفاصيل والتي ربّما تغيب عن أولويات المؤرّخين والصّحفيين، بلغة شعريّة تُبهر القراء وتحفظ تاريخ أمّة من الاندثار.

كلمـات مفتاحيّـة: الهويّـة؛ الانتمـاء؛ تيمـة العنـف؛ الإيديولوجيّـة؛ الرّوايّـة الجزائريّة المعاصرة.

Abstract: The postcolonial writers and novelists managed to cope with the status-quo, which witnessed a period of construction and establishment, paving the way for writers to experience the euphoria of liberation and changes of 1970s. In this regard, literary works appeared and coped with the liberation phase, far from allies and belongings. Nevertheless, this phase quickly ended, pushing the writers towards the cycle of war and violence that lasted for almost a decade, had devastating effectsand restricted and scared many authors. Therefore, many parties doubted the principle of belonging and identity, and the aspects of identity alienation emerged due to the ideological struggles and regional effects. This gave birth to the Decade Literature whose novels were marked by restrictions and bias to a given party. In this context, some see that the authors must write about the then events and crises that killed many people, as part of their national duties and manifestations of identity. Besides, they saw the others had to tackle the details unknown to historians and journalists, in a poetic

language that appeals to the reader and preserves the history of a nation against demise.

Keywords: identity; belongin; theme of violence; ideology; The contemporary Algerian novel.

1. **مقدّمة:** أسهم التنوع الثّقافي والظّروف التي مرت بها البلاد في ظهور أدب له من الميزات ما له، وظهرت الرّوايّة الجديدة كجنس أدبي تعددت قضاياه تجلت بها العديد من التيمات فكل قضيّة لها سماتها ولكل موضوع تيماته وقضاياه، وقد يعود هذا إلى غزارة المنتوج الأدبي عموما، والمنثور منه خصوصا؛ خاصّة في عالم الرّوايّة المعاصرة، وذلك بعد الخلاص من الإرث الكولونيالي الذي واكب الحقبة الاستعماريّة زمنيا، إلا أنّه وبعد تلك الفترة ظهرت أعمال روائيّة ناضجة صنفت ضمن الرّوايات الجزائريّة فيما بعد الكولونياليّة واكبت مثيلاتها في العالم العربي، ومع نهايّة الثّمانينات وبدايّة التسعينيات من القرن الماضي، تجلت تيمة العنف بارزة في الكثير من الأعمال الرّوائيّة وأصبح الكاتب الجزائري مدافعا بقلمه، وحائرا بين أمرين، إما البقاء والحفاظ على هويته المعهودة و المألوفة أو الاصطفاف إلى جانب دعاة التملص والخلاص وممن رأوا أنّ عدم الانتفاضة هو خيانة للهويّة الجديدة، ومن هنا وجد الكاتب نفسه باحثا عن حقيقة هويته نتيجة هذا التعدد الهوياتي وهذا التصدع الجديد الطّارئ على الهويّة لدى المجتمع الجزائري.

وفي هذه الورقة البحثيّة حاولت الوقوف على أحد الأعمال الرّوائيّة الجزائريّة المعاصرة " لص في مملكة الأحرار "لبوشاقور إزدهار، وذلك للوقوف على أهم أشكال ومظاهر التشظي الهوياتي وأزمة الانتماء، وكذلك الوقوف على أهم تمظهرات تيمة العنف في الرّوايّة. محاولا الإجابة عن إشكاليّة تمثلت في الآتي:

هل شكل التمرد والتملص من حكم الحزب الواحد وكذلك موجات العنف السّائدة في فترة العشريّة أداة تبرز التشظي الهوياتي واللا انتماء؟ أم أنّ ما حصل كله مخاض موجة تيارات أيديولوجيّة؟

من الممكن أن تكون موجة العنف السّائدة آنذاك بسبب الضّغط المفروض على الشّعب، وهو ما نتج عنه ذلك الانفجار المشهود.

أو أنّ شرائح المجتمع لم تعد ترغب في أن تكون تحت حكام لم يرضوا بحكمهم.

أو أنّ هناك موجة تغيير عالميّة، كان لها الأثر في تلك التغيرات، والتي أسهمت فيها أيديولوجيات واملاءات خارجيّة.

كل هذا وغيره من الفرضيات الممكن وورودها، هو ما سنقف عليه في باقي التفاصيل.

2. **الرّوايّة الجزائريّة المعاصرة تواكب الأحداث:** تُعد الرّوايّة الجنس الأدبي الأكثر رواجا بين فئة القراء والمثقفين والنّقاد، حيث لم يبق من الآداب المكتوبة غير الرّوايّة والتي محل اهتمام المختصين، فالأدب "مؤسّسة اجتماعيّة تُعرّفها الصّراعات التأويليّة على كيفيّة تصورها بقدر ما تعرفها توافقات القراء على ما تتضمنه"[1] فهذه المؤسّسة الاجتماعيّة، تبرز من خلالها الرّوايّة في أبهى حللها وهي لسان الأمة وحبر قلمها، والذي يحمل آهاتها وأحزانها وأفراحها، وقد عرفها باختين على أنّها "فضاء للتنوع الاجتماعي للغات وتعدد الأصوات، وتنوع الملفوظات والمواقف المتصاعدة، ولا عجب أن أوغل في تحليل تفاصيل تشخيص اللّغة في الرّوايّة ورصد معالم تشخيص خطاب الآخرين اعتمادا على طرائق معينة كالتعدد اللغوي المشخص لتنوع الملفوظات"[2] فهذا الفضاء الذي تتعدد فيه الملفوظات ويتجلى فيه التعدد اللغوي كملكة لسانيّة، وكذلك تتعدد فيه اللهجات نتيجة للتنوع الثّقافي وثرائه بالفروقات اللفظيّة في البيئة الواحدة.

الفضاء الذي تتعدد فيه الملفوظات ويتجلى فيه التعدد اللغوي كملكة لسانيّة وكذلك تتعدد فيه اللهجات نتيجة للتنوع الثّقافي وثرائه بالفروقات اللفظيّة في البيئة الواحدة.

تعدّ روايّة "لص في مملكة الأحرار" للروائيّة الجزائريّة بوشاقور إزدهار، أوّل أعمالها والتي صدرت سنة2006، وهي مسرديّة روائيّة معاصرة، واكبت بها الرّوائيّة تلك الحقبة الزمنيّة من تاريخ البلاد وتأثرت بأحداثها الواقعيّة والمأساويّة، فقد كانت انطلاقتها الزّمنيّة في ثمانينات القرن الماضي، والذي وصفته الرّوائيّة بحكم الشّيوخ "هو عهد لنظام واحد تفرد بكل ما تحمله آليّة التحكم من تحكم في السّياسة والاقتصاد والاجتماع، يشد البلاد بكل قوة السّلاح هي في بدايّة الثّمانينات وحكم المشايخ لا يزال ساري"[3] كانت هذه العبارة هي ما استفتحت بها الرّوائيّة نصها، وذلك لتضع القارئ في الزمان والمكان الذي وقعت فيه الأحداث.

وقد ذكر أنّ النّص الرّوائي يتحدث عن حقبة الثّمانينات والتي كانت في حينها البلاد تحت حكم وسطوة الحزب الواحد.

تُشير الرّوائيّة إلى فترة التخلص من الحزب الواحد والدّخول في عهد التعددات الحزبيّة بعد خطاب الرّئيس "بخطاب ينتهي عهد الحزب الواحد أو الحزمة الواحدة لتدخل البلاد زمن الدّيمقراطيّة ...والتعبير المطلق الحر لتكون كتل حزبيّة"[4] فبعد أن تطرقت الرّوايّة إلى بدايّة الثّمانينات ومكافحة المشايخ كما أسمتهم للبقاء طويلا في الحكم، تحت ظل الحزب الواحد، ها هي تعرج على فترة أخرى، وفيها يتخلى الرّئيس عن الحكم ويقدم استقالته، وربما هذا بسبب أحداث الشّغب التي وقعت في البلاد في نهايّة الثّمانينات من القرن الماضي ذلك بعد موجة العنف والخراب وانفجار الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة والأمنيّة وغيرها في البلاد، وكل هذا دفع الرّئيس ليُقدم على ما قام به.

تشير الرّوائيّة إلى فوز الإسلاميين في الانتخابات "أكثر هذه الكتل تصدرا وشيوعا، تلك المتصلة التي تغطس بدفق قيم الشّعب وأصالته، وكان بالمقدّمة الكتل المسافرة سماءات عن الأرض، قطبت السّخاء العظم من النّاس"[5] فهذه الكتلة الحزبيّة استدرجت أصوات النّاس بداعي نشر تعاليم الدّين والقيم، وذلك

للحفاظ على كل ماله علاقة بباقي الأمة الإسلاميّة والعربيّة المحافظة في المشرق.

ثم تنتقل إلى انطلاقة شرارة العنف "هذا العام 1994عام لا مثيل له أكثر ما اكتوت به العامة بنيران الظّلم والتعسف، كل تربة وكل خصب، كل جبل وسهل، شهد فعل وعمل متطرف"[6] ففي هذه الفترة شهدت البلاد أعمال عنف كانت مسارحها ربوع الوطن.

وبما أنّ العنف شكّل تيمة العمل الرّوائي، يزداد التشبث بهذه التيمة، ودون الخروج عن نمطيّة سير الأحداث "فضائع ومآسي تضرب ربوع القرى المجاورة والدّمار الذي يحققه العدو أضحى حقيقة"[7] فهذا الحدث الرّوائي يُجسد تلك المعاناة التي عاشها الشّعب الجزائري.

تتواصل سرديّة أحداث الرّوايّة مُتبعة التسلسل الزمني للأحداث الواقعيّة التي مرت بها البلاد، مع دمجها بشخصيات روائيّة من نسج خيال الرّوائي، ويشير إلى فترة أخرى من فترات العشريّة "هو عام 1996 النّاس تتذوق علقم الأيام يوما بعد يوم"[8] فمرارة الأيام التي يتجرعها الجزائريون مازالت متواصلة، وتنتقل بعض من تفاصيلها بتحريك شخصيات الرّوايّة.

يتواصل سرد الأحداث إلى أن تصل ذروتها، وبذلك تصل الرّوائيّة بؤرة الأحداث إلى سنة1998 هذه السّنة نُسب إليها ظهور الدّيمقراطيّة "إنّه عهد الدّيمقراطيّة، أين ظهرت على السّاحة الوطنيّة كتل حزبيّة واسعة النّطاق...هو ذا عام 1998 سير أيامه يقارب ساعة متثاقلة الثّواني"[9] في إشارة إلى زمن المصالحة، والذي سمته الرّوائيّة ب "عهد الدّيمقراطيّة" فهذا العهد تعددت فيه الأحزاب، لكن وتيرة الزّمن متثاقلة، وتواصل الرّوائيّة تطرقها لهذا الحدث "في الصّباح شهر أفريل يقوم النّاس للادلاء بأصواتهم"[10] وهي إشارة لبدء فترة استقرار جزئي للأحداث في المدينة، أما بالنّسبة للشخصيات الرّوائيّة، والتي تتمايز بها الأحداث وتتسارع بقيت متواصلة، بأحزانها وأفراحها، فهذه

الشّخصيات الورقيّة، تتحرك وفق ما يُمليه عليها خيال الرّوائيّة، وتُبيحه الأحداث وسيرورتها السّرديّة.

لا فرق بين الأيام والفصول والسّنوات أثناء الحقبة السّوداء من حياة الجزائريين "الشّتاء على نهايّة من عام199 وعلى عتبة الاضمحلال"[11] فالعنف طغى على أيام الجزائريين حتى أصبحت تلك المجازر والمآسي والمعاناة تشكل شيئا نمطيا في حياة الجزائريين وأمرا معتادا.

3. تشظي الهويّة وجدل الانتماء في روايّة "لص في مملكة الأحرار":

الرّوايّة بها الكثير من ملامح الهويّة والانتماء، لكن هناك طرف آخر يعكس صورة أخرى، وهي المناداة بعدم الانتماء والولاء، ومن خلاله يظهر هذا التباين من حيث أنه جزء منه أو غير ذلك، ويجسد شرخا في الهويّة ككل، هذه الهويّة التي عبارة عن" سمات مميزة للكاتب، أو الفنان، تبرز في نتاجه، وتُشيع لونا معينا... وهي أيضا مجموع الخصائص المميزة لأثر فني أو لمجموعة من الآثار "[12] وقد تخضع الهويّة إلى أيديولوجيات معينة والتي تتمثل في "مجموعة من الأفكار والمفاهيم والمعتقدات والمبادئ التي تعكس حاجات وطموحات شخص أو جماعة أو ثقافة ما"[13] فالهويّة دائما تُبني على أفكار وتعارضها أفكار أخرى، هذه الأفكار تختلف باختلاف أيديولوجياتها.

فالرّاوئيّة حينما رأت البلاد تتوجه نحو الأسوأ، وأشار إلى ذلك "يوم بعد يوم تغرق البلاد في ضلال الضّياع "[14] فهذا الانتماء للوطن هو الذي يُرسخ فكرة التحصر والحيرة بسبب ما الت إليه حال البلاد، ولإظهار جزء من اللحمة التي شهدتها البلاد، والتي تشكل مظهرا من مظاهر الهويّة" ما هو بالوقت الطّويل حتى التف الشّعب حول ما له...والتمس فيه مبتغاه"[15] وهنا يظهر نوع من التشظي، فاللحمة جسدت مظهرا من مظاهر الهويّة، لكن الانتساب هذه المرة لم يكن ليُرضي الأطراف كلها، فالسّلطة غير راضيّة بهذا التكتل، مما شكل تصدعات في الهويّة، فالأفكار المعهودة تغيرت والولاء للسلطة المعهودة زال

وظهرت ولاءات أخرى شكلت هويّة أخرى موازيّة للهويّة الأم. ولظهور هذا التغير الجديد وهذا التصدع الحاصل. تمظهراته "هؤلاء هم المؤمنين بالموت في سبيل الحريّة لأنها أشرف من الحياة في ظل الاستسلام "[16] فهذا القطب الثّاني ممن انتسبوا إلى أيديولوجيات جديدة، ورأوا فيه استسلاما، لكن سرعان ما تظهر نظرة الكاتبة، وخلفيتها وأيديولوجياتها، حيث تصف الطّرف الآخر (الارهابيون) بصفات تقلل من شأنهم وتحتقرهم "هذا ما يسمح للجرذان بالخروج من الجحور... توتر وترقب للمصائب، بين الموت والفقدان...الأشباح تظهر في الليل... الأوغاد يستغلون كل ظرف ليقمعوا وينهبوا ويسفكوا...إنّهم أصحاب الليل"[17] فهذه الصّفات ترى في أن هؤلاء لا يملكون مقومات الهويّة والانتماء بل هم أعداء الوطن.

لكن لم تلبث الكاتبة طويلا، وسمت الإرهابيين بالصّيادين، رغم أن الصّيادين لهم جانب إيجابي، وهو الظّفر بالطّرائد " الصّيادون ثائرون بعد قتل نائب رئيس الكزمة «سي خليفة بن عايدة» عنصر خطير من أبناء المنطقة انتهت أيامه على أيادي رجال الأمن في كمين نصب له بإحكام"[18] لقد أطلق مصطلح (الصّيادون).

على الإرهابيين، وأخبرتنا الكاتبة بأنّهم (ثائرون)، فالثّورة لا تكون إلا ضد المستعمر، ولا يُفجرها إلا أصحاب القضايا العادلة، وهذه الصّفات نُسبت إلى الإرهابيين، فكأن هناك انفصاما في الهويّة، حيث أنّ الطّرفين اللذين تتعارض أيديولوجياتهما، ومن وراء هذا التعارض يحدث التصدع في الهويّة لأبناء الوطن الواحد.

ولا يمكن أن تتجلى الهويّة، إلا من خلال الثّقافات والعادات والعرق المشترك، رغم بعض الاختلافات الطّفيفة، وقد ظهر في النّص الرّوائي "ولأن بالبلاد أقليات يضمن لها موقفها الظّاهر، ميزابيّة وتوارقيّة وأخرى بربريّة حرة تصل في مجملها 25بالمائة"19 فهذا التعدد من حيث الانتماءات العرقيّة، هو

شكل بارز من أشكال التعدد الهوياتي والذي بقي لقرون وأزمان طويلة يقبع تحت ظل الهويّة الأم، وتُسهم هذه الأقليات في ترسيخ مبدأ الانتماء، ولها اليد الطّولى في كل طارئ يطرأ على البلاد.

والانتماء بوصفه انتسابًا هو" الاعتزاء إلى قبيلة، أو مكان أو وطن أو نحوه"[20] فهذا الانتماء للوطن ظهر جليا في مواضع متعددة من الرّوايّة منها " أما نحن فإخوة دما وعرقا، أنفسا وأجسادا منا الأخ ومنهم الخائن"[21].

وهذه العبارة التي تتحدث عن الأخوة وعن العرق الواحد، واعتبار الطّرف الآخر (الارهابيون) بالخونة، جسدت فكرة الانتماء، وأظهرت شكلا من أشكال الهويّة.

أما فيما يخص معاملة الإرهابيين لأطياف الشّعب، فقد أشارت الرّوائيّة إلى ذلك "بالفعل قد آساؤوا بصنيعهم هذا إلى أمتنا الجزائريّة شبرا شبرا وآهة آهة أمة بكى فيها الصّغير والكبير، حتى الرّضيع... نهش لحمه بخنجر المذنبين فأظهروا بذلك عداوة للشعب والحريّة والأحرار، بلد المليون ونصف المليون شهيد تكتوي للمرة الألف وبأيادي شعبها وصخر أراضيها"[22] وهذه العبارة اختزلت مدى إحساس الرّوائيّة بالانتماء إلى هذا الوطن، والذي ضحى من أجله الملايين، وهي أجلُ صور الهويّة والانتماء.

أما اعتبار الإرهابيين ممن خانوا وطنهم وتنكروا لماضيه، وشكلوا طفرة هوياتيّة في بنيّة المجتمع عموما والهويّة الأم ككل، والتي تنتمي إليها شرائح المجتمع، وتجمع الكاتبة أنّ والوطن له هويته وأنّها أمة موحدة "خطاب للأمة خطاب توحيدي"[23] ومن بين ما تُمليه أشكال الانتماء هو الادلاء بالأصوات وعالم الانتخابات "في صباح شهر أفريل يقوم النّاس للادلاء بأصواتهم، الواجب الوطني يناديهم"[24] فالانتخابات تشكل مظهرا من مظاهر الانتماء إلى هذا الوطن، وتُجسد مبدأ لإثبات هوياتي بحت، فالواجب الوطني لا ينادي إلا المنتمين للوطن الواحد ومن اشتركت فيهم ملامح الهويّة الواحدة.

ففي تلك الفترة من تاريخ البلاد، أصبح للهويّة والانتماء تصدعا، تمثّل في خيانة الطّرف الآخر (الارهابيون) والعمالة لأيديولوجيات خارجيّة، وأصبح الارهابيون يرون في من يدعو للوحدة وللتشبث بأواصل الوطن خائنا عميلا وقد تجلى ذلك من خلال الحوار الذي دار بين أحمد الشّخصيّة الرّئيسيّة في الرّوايّة والعساكر الذين هاجموا مواقع الإرهاب في الجبال، وفي المكان الذي أطلقت عليه تسميّة «العرجة» "يصيح يا أوغاد يا رعايا الدّولة وكلاب ... يا حركى وسراق"... فأحمد الإرهابي يرى أنّ العسكري الذي يؤدي واجبه تُجاه وطنه سارقا وحركيا، وهذه نظرة أخرى تجسد التشظي الذي وقع في الهويّة والانتماء وصار أبناء الوطن الواحد يرون من خلاله تعددا هوياتيا في البيئة الواحدة.

4.طغيان تيمة العنف في روايّة "لص في مملكة الأحرار": شهدت الرّوايّة كما هو حال الوطن تغيرات، تجسدت فيما طرأ على مضامينها وموضوعاتها فهول وهلع الجزائريين أثناء العشريّة السّوداء، واكبته الكتابات الرّوائيّة بنقل تلك الأحداث بما حملته من آلام وأحزان وآهات، وسبب كل هذا هو الافراط في العنف، حيث أنّ هذا الأخير تيمة الكتابات في تلك الحقبة، والتيمة تعني الدّلالة "على المضمون الدّلالي؛ يعني الموضوع الذي يتطرق له الكاتب"[25] ويمكن أن نُعرف التيمة بشكل أدق ويتعلق بالجانب الذي يركز عليه في البنيّة السّرديّة حيث "يمكن أن تكون التيمة مركزة على الفواعل، الأشياء أو الوظائف، أو موزعة بالزيادة والنّقصان على عناصر البنيّة السّرديّة"[26].

ولقد ظهرت هذه التيمة من بدايات أحداث الرّوايّة، وقد نسب العنف في تلك الفترة إلى الأعمال الاجراميّة والتي يُقدم المخربون على ارتكابها، حيث وصفت الكاتبة الواقع في نهايّة الثّمانينات" الواقع ينبض مرارة، والأنفاس تبكي... وتصرخ من إحكام القيود المكبلة"[27] ولقد كانت هذه العبارة في الصّفحة الأولى من الرّوايّة، وهي إشارة إلى الضّغوط التي تعرض لها سكان هذا البلد، وقد يدفعهم إلى التملص في أي فترة، وسبب هذه الضّغوط هو إحكام السّيطرة على

أفراد المجتمع، وهي توطئة لباقي الأحداث، وقد وافقت تيمة العنف النّفسي كلمة «مرارة»، فالمرارة تعني الكثير من الآلام .

ثم تعلن عن بدايات الفعل الاجرامي "هذا العام من1994، عام لا مثيل له أكثر مما اكتوت فيه العامة بنيران الظّلم والتعسف، كل تربة، كل خصب، كل جبل وسهل، شهد فعلاً وعملاً متطرفاً"[28] العمل المتطرف ولهيب النّار والاكتواء بها، كان نتيجة العنف الذي شهدته البلاد في هذه السّنة، فالأعمال الإجراميّة لم تسلم منها ربوع الوطن جبالا وسهولا وغيرها، فالعنف ساد وطغى على كل شيء.

وواصلت الكاتبة وصف أعمال الإجرام، حيث تطرق إلى أعمال العنف والقتل التي تعرض لها الشّباب الذي يؤدي الخدمة الوطنيّة "في أول ليلة منه قعدت الأيادي الآثمة على عيون شّباب القريّة، أربعتهم عادوا في عطلة إلى أهاليهم من الخدمة، أصبحت جثثهم مرميّة على قارعة طريق أشجار البرتقال جريمة بشعة عكست بشاعتها وجوه الضّحايا تدلت رؤوسهم ... ثياب ملطخة بالدّماء ... مناظر كلها بشاعة وفظاعة "[29].

تواصل الرّوائيّة حديثها عن سجال العنف السّائد على الرّوايّة " لقد قتل المير هذا الصّباح وفي وضح النّهار، وأن القاتل من أهل الدّار، صاحب الخطب الذي لا يخيب والسّهم الجفل من لا يحفل بالعواقب"[30] فيد الإرهابيين مرة أخرى "قساوتهم وجبروتهم دمروا بيوتا وأحرقوا أوصالا"[31] فالقسوة والجبروت صفتان للإرهابيين، وهي ما جعلتهم يدمرون بيوتا ويحرقون كل شيء، حتى تواصل النّاس فيما بينهم قضى عليه تفشي الإرهاب، في كل من قريّة "الحاج عابد" وماهي إلا مثال عن بقيّة ربوع الوطن مدنا وقرى ومداشر.

كما أن إقحام شخصيات الرّوايّة الرّئيسيّة في الأحداث المأساويّة، قد جعلها تلعب أدوارا تُحاكي قصصا واقعيّة حدثت في تلك الفترة "لقد تولى الحكم في المجموعات المسلحة ...عنصر جديد يدعى «بيسة» هذا اللقب الظّاهر في

حين خف الحقيقي"[32] في إشارة إلى أحد الشّخصيات الرّئيسيّة «أحمد»، فأحمد ما هو إلا صورة

للشباب الجزائري المغرر به، والذي أراد أن يتهرب من وسط سئم من البقاء فيه، بحجة أو بأخرى، فهرب من قريته وأقدم على معاداة أهله والوطن وأبنائه.

وقد كان هذا الشّاب أحمد متابع من طرف الأجهزة الأمنيّة، خاصّة الشّرطة "كان وقع الاسم على مسامع رجال الشّرطة كالصّاعقة التي تنساب بدون سابق اشعار ... هو أحمد المافيا أليس كذلك المدعو "بيسة"[33].

فخبر ناشري الرّعب والعنف أصبح يشكل خطرا على أبناء البلد، وأصبح مطلوبا عند الجهات الأمنيّة.

ويعم العنف في أغلب أيام الجزائريين " الذبح والقتل والسّطو في كل حين... مثل ما حدث مع فوزيّة... امرأة مطلقة ذات الثّلاثين ربيعا أم لولد يتجاوز العاشرة من العمر... رميت جثة هامدة بعدما نالوا منها"[34].

وما أكثر شبيهات فوزيّة في تلك الفترة الحالكة من حياة الجزائريين.

فهذه التمظهرات من العنف صارت ضمن نمطيّة الأحداث، وأمرا معتادا في الحياة اليوميّة، ومن لم يشهد جريمة في يومه، شاهدها على شاشة التلفاز "ومثلما ترون على مرأى أعينكم، وعلى شاشات التلفزيون فإن الموت قد فتك بجزء كبير من أبناء هذا الوطن الغالي"[35]، وهو حديث على لسان أحد الشّخصيات الرّئيسيّة للروايّة «سي الطّاهر»، ومن خلال هذا الخبر نكتشف أن محن الوطن في تلك الحقبة تناولتها وتداولتها حتى الجهات الإعلاميّة، فأصبح الإرهاب صفة كل جزائري عند الكثيرين في بقاع الأرض.

ومن خلال هذا فإنّ عالم رّوايّة "لص في مملكة الأحرار" كله، أصبح تيمة عنف وإجرام يتكرر في كل مكان وفي كل لحظة.

ثم تختم الرّوائيّة بالقول إنّ مجال العنف غير باق، لأنّ هناك حريّة وأمان ينتظران أبناء هذا الوطن، والذين حافظوا على هويتهم ودافعوا واعتزوا بولائهم

للوطن، لكن الحريّة لا تتأتى إلا بدفع أثمان باهظة، جاء في الرّوايّة "إنّ الحريّة باب محكم الاقفال، لا يدخل منه إلا من دميت أياديه من كثرة الطّرق في عزم وثقة وإصرار"[36] وهذه إشارة إلى أن دوامة العنف لن تدوم، وستزول ويحل محلها الحريّة والأمن والأمان، ولكن لهذا كله ثمن وتضحيات وإصرار.

5-خاتمة: عانى الشّعب الجزائري ويلات العنف والإجرام أثناء ما يُعرف بالعشريّة السّوداء، قد صاحب تلك الفترة انشطار وتشظي في الهويّة، وذلك من خلال رغبة البعض في إعلان عدم البقاء تحت حكم الحزب الواحد والخلاص من قادة البلاد معتبرين ذلك خيانة وعبوديّة للحكام، وأنّ الهويّة الحقيقيّة للشعب الجزائري ليست هي الهويّة التي ينتمي إليها الحكام، وتدعو إليها الدّولة ضمن وحدتها؛ بل إنّ الهويّة التي يطمحون إلى تثبيتها تكون مقتبسة من شعوب مشرقيّة، أو إسلاميّة متشددة. وقد تبنوها ودافعوا عنها، وسقطت الكثير من الأرواح لأجل زرعها من الطّرفين، وسفكت دماء وأحرقت بيوتا ومؤسسات وكل هذا لتهربهم من كل ما له علاقة بحكام البلد، وقد صاحب ذلك تصرف بعض الأقليات التي يدعم بعضها أيديولوجيات وجهات خارجيّة، مجسدة بذلك تجليات مظاهر اللا انتماء وتشظيا هوياتيا، ويحن البعض إلى أصولهم، وترجع فيه ملامح جديدة تتجاوز الهويّة الأم للوطن الواحد.

نتائج:

- ملامح الهويّة بارزة من خلال شعور الرّوائيّة بالانتماء لهذا الوطن، ومن خلال الانفعالات المتعلقة بكل ما يشع بالوطنيّة " الواجب، الوطن، أرض طاهرة، شتم لا متناهي للمغرر بهم والإرهابيين ونعتهم بأبغض النّعوت؛

-التشظي في الهويّة كان من خلال التهرب من سلطة الحكام لا أكثر، ومن خلال الانقسام الذي حدث حتى في العائلة الواحدة، على غرار المداشر والمدن، وأبناء الوطن عموما؛

– كانت تيمة العنف سّائدة على البنيّة السّرديّة الكبرى للنص الرّوائي، بسبب أعمال الإجرام والقمع والقتل التي يقوم بها الطّرف الآخر والذي لا يرغب في البقاء تحت حكم من يعتبرهم غير مؤهلين لقيادة وحكم البلد، أو الأخذ به إلى بر الأمان؛

– التشظي الهوياتي سبكته أفعال وتصرفات الشّخوص الكائنات الورقيّة كما يحلو لبعض المنظرين والنّقاد البنيويين تسميتها، والتي من خلال الفنيات التي تستعملها الكاتبة في تجسيد أدوار الشّخصيات ومن خلال تطور الأحداث وذلك لغرض محاكاة الواقع المرير في تلك الفترة؛

– محاكاة شخصيات حقيقيّة حضرت الوقائع، وعاينت المشاهد ووقعت الأحداث على مرأى من أعينها، فتلك التقسيمات والانتماءات هي ما جسّد هذا التشظي الهوياتي. فالتعالق بين الحقيقة وخيال الرّاوي في تجسيد الشّخصيات وأدوارها كان بارزا في هذا العمل الرّوائي؛

–أسندت أغلب الأحداث المتعلقة بالتخريب والعنف لشخوص أقرب للواقع وهذا للإشارة إلى أنّ الأحداث مقتبسة من واقع مرير ومستوحى من أحداث واقعيّة.

توصيات:

– إطلاق العنان لأقلام الأدباء وخاصّة الرّواة منهم لتُلم بما عجز عنه الإعلاميون والمؤرخون نتيجة الضّغوط المفروضة عليهم؛

– تشجيع المبدعين ممن ترتسم فيهم ملامح الموضوعيّة في نقل أحداث وطنيّة وتاريخيّة في قوالب أدبيّة، تبحث في صغائر الأحداث والشّخصيات وشحنها بما تستحقه وفق أفق خيال الرّوائي الغير متناهيّة؛

– لتنعم وتكلل الأعمال الأدبيّة بالنّجاح وبالتثمين وبمؤازرة كل النّقاد ومواساة الدّارسين يجب أن تتسم بشعريّة النّصوص الأدبيّة.

6. قائمة المراجع:

مدونة البحث:

بوشاقور إزدهار: لص في مملكة الأحرار–روايّة–، أطفالنّا للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، الجزائر، دط، 2012.

1. بوشاقور إزدهار: لص في مملكة الأحرار–روايّة–، أطفالنّا للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، الجزائر، دط، 2012.بول ب آرمسترونغ: القراءات المتصارعة (التنوع والمصداقيّة في التأويل)، تر: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

2. عبد الله أبو هيف: الإبداع السّردي الجزائري –دراسة–، عن وزارة الثّقافة، الطّباعة الشّعبيّة للجيش، الجزائر العاصمة، الجزائر، دط، 2007.

3. جبور عبد النّور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

4. نواف نصار: المعجم الأدبي، دار ورد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2007.

5. اميل بديع يعقوب وميشال عاصي: المعجم المفصل في اللّغة والأدب، المجلد الأول دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1 ،1987.

6. رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السّيميائي للنصوص، دار الحكمة القاهرة، مصر، د ط، 2000.

7. هوامش:

[1] ول ب آرمسترونغ: القراءات المتصارعة (التنوع والمصداقيّة في التأويل)، تر: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص180.

[2]عبد الله أبو هيف: الإبداع السّردي الجزائري –دراسة–، عن وزارة الثّقافة، الطّباعة الشّعبيّة للجيش، الجزائر العاصمة، الجزائر، دط، 2007، ص159.

[3] بوشاقور إزدهار: لص في مملكة الأحرار–روايّة–، أطفالنّا للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، الجزائر، دط، 2012، ص05.

[4] –الرّوايّة: المصدر نفسه، ص06.

[5]–الرّوايّة: المصدر نفسه، ص06، ص07.

[6] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص09.

[7] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص51.

[8] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص58.

[9]الرّوايّة: المصدر نفسه، ص99.

[10]الرّوايّة: المصدر نفسه، ص115.

[11]الرّوايّة: المصدر نفسه، ص81.

[12] جبور عبد النّور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984 ص287.

[13] نواف نصار: المعجم الأدبي، دار ورد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007 ص31.

[14] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص05.

[15] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص06.

[16] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص14.

[17] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص46.إلى ص50.

[18] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص52.

[19] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص07.

[20] اميل بديع يعقوب وميشال عاصي: المعجم المفصل في اللّغة والأدب، المجلد الأول دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص239.

[21] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص53.

[22] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص53.

[23] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص53.

[24] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص144.

[25] رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السّيميائي للنصوص، دار الحكمة القاهرة، مصر، د ط، 2000، ص237.

[26] رشيد بن مالك: المرجع نفسه، ص06.

[27] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص05.

[28] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص09.

[29] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص12.

[30] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص44.

[31] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص53.

[32] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص61.

[33] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص93.

[34] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص93.

[35] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص91.

[36] الرّوايّة: المصدر نفسه، ص54.